﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾

تفسير سورة الجاثية

هى سبع وثلاثون آية . وقيل : ست وثلاثون . وهى مكية كلها فى قول الحسن وجابر وعكرمة . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير أنها نزلت بمكة ، وروى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا : إلا آية منها ، وهى قوله : ﴿للذين آمنوا﴾ إلى ﴿أيام الله﴾ فإنها نزلت بالمدينة فى عمر بن الخطاب كما سيأتى .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩) مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (١١) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)﴾

قوله : ﴿حم﴾ قد تقدم الكلام فى هذه الفاتحة ، وفى إعرابها ، فى فاتحة سورة « غافر » وما بعدها ، فإن جعل اسماً للسورة فمحله الرفع ، على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ ، وإن جعل حروفاً مسرودة على نمط التعديد فلا محل له ، وقوله : ﴿تنزيل الكتاب﴾ على الوجه الأول خبر ثان ، وعلى الوجه الثانى خبر المبتدأ ، وعلى الوجه الثالث خبر مبتدأ محذوف ، أو

مبتدأ وخبره ﴿ **من الله العزيز الحكيم** ﴾ ثم أخبر سبحانه بما يدل على قدرته الباهرة فقال : ﴿ **إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين** ﴾ أى فيها نفسها فإنها من فنون الآيات أو فى خلقها . قال الزجاج : ويدل على أن المعنى : فى خلق السموات والأرض قوله : ﴿ **وفى خلقكم** ﴾ أى فى خلقكم أنفسكم على أطوار مختلفة . قال مقاتل : من تراب ثم من نطفة إلى أن يصير إنسانا ﴿ **وما يبث من دابة آيات** ﴾ أى وفى خلق ما يبث من دابة ، وارتفاع آيات على أنها مبتدأ مؤخر، وخبره الظرف قبله ، وبالرفع قرأ الجمهور ، وقرأ حمزة والكسائى : « آيات » بالنصب عطفاً على اسم إن ، والخبر قوله : ﴿ **وفى خلقكم** ﴾ كأنه قيل : وإن فى خلقكم وما يبث من دابة آيات ، أو على أنها تأكيد لآيات الأولى ، وقرأ الجمهور أيضا : ﴿ **آيات لقوم يعقلون** ﴾ بالرفع ، وقرأ حمزة والكسائى بنصبها مع اتفاقهم على الجر فى اختلاف ، أما جر اختلاف فهو على تقدير حرف الجر ، أى فى ﴿ **اختلاف الليل والنهار** ﴾ آيات ، فمن رفع آيات فعلى أنها مبتدأ ، وخبرها : فى اختلاف ، وأما النصب فهو من باب العطف على معمولى عاملين مختلفين . قال الفراء : الرفع على الاستئناف بعد إنّ ، تقول العرب : إن لى عليك مالاً وعلى أخيك مال ، ينصبون الثانى ويرفعونه ، وللنحاة فى هذا الموضع كلام طويل ، والبحث فى مسألة العطف على معمولى عاملين مختلفين ، وحجج المجوزين له ، وجوابات المانعين له مقرر فى علم النحو مبسوط فى مطولاته ، ومعنى ﴿ **ما يبث من دابة** ﴾ : ما يفرقه وينشره .

﴿ **واختلاف الليل والنهار** ﴾ تعاقبهما ، أو تفاوتهما فى الطول والقصر ، وقوله : ﴿ **وما أنزل الله من السماء من رزق** ﴾ معطوف على اختلاف ، والرزق : المطر ؛ لأنه سبب لكل ما يرزق الله العباد به ، وإحياء الأرض : إخراج نباتها ، و ﴿ **موتها** ﴾ : خلوها من النبات ، و معنى ﴿ **تصريف الرياح** ﴾ : أنها تهب تارة من جهة ، وتارة من أخرى ، وتارة تكون حارة ، وتارة تكون باردة ، وتارة نافعة ، وتارة ضارة . ﴿ **تلك آيات الله نتلوها عليك** ﴾ أى هذه الآيات المذكورة هى حجج الله وبراهينه ، ومحل : ﴿ **نتلوها عليك** ﴾ النصب على الحال ، ويجوز أن يكون فى محل رفع على أنه خبر اسم الإشارة ، وآيات الله بيان له أو بدل منه، وقوله : ﴿**بالحق** ﴾ حال من فاعل نتلو ، أو من مفعوله ، أى محقين ، أو ملتبسة بالحق ، ويجوز أن تكون الباء للسببية ، فتتعلق بنفس الفعل ﴿ **فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون** ﴾ أى بعد حديث الله وبعد آياته . وقيل إن المقصود : فبأى حديث بعد آيات الله ، وذكر الاسم الشريف ليس إلا لقصد تعظيم الآيات ، فيكون من باب : أعجبنى زيد وكرمه . وقيل : المراد : بعد حديث الله ، وهو القرآن كما فى قوله : ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ [الزمر : ٢٣] . وهو المراد بالآيات، والعطف لمجرد التغاير العنوانى . قرأ الجمهور : « تؤمنون » بالفوقية . وقرأ حمزة والكسائى بالتحتية ، والمعنى : يؤمنون بأى حديث ، وإنما قدم عليه ؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام .

﴿ **ويل لكل أفاك أثيم** ﴾ أى لكل كذاب كثير الإثم ، مرتكب لما يوجبه ، والويل : واد فى جهنم ، ثم وصف هذا الأفاك بصفة أخرى فقال : ﴿ **يسمع آيات الله تتلى عليه** ﴾ وقيل : إن يسمع فى محل نصب على الحال . وقيل : استئناف ، والأول أولى، وقوله : ﴿ **تتلى عليه** ﴾ فى محل نصب على الحال ﴿ **ثم يصرّ** ﴾ على كفره ويقيم على ما كان عليه حال كونه ﴿**مستكبراً**﴾ أى يتمادى على كفره ، متعظماً فى نفسه ، عن الانقياد للحقّ، والإصرار مأخوذ من إصرار الحمار على العانة [١] وهو أن ينحنى عليها صارا أذنيه [٢] . قال مقاتل : إذا سمع من آيات القرآن شيئا اتخذها هزوا ، وجملة : ﴿ **كأن لم يسمعها** ﴾ فى محل نصب على الحال أو مستأنفة، وأن هى المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير شأن محذوف ﴿ **فبشره بعذاب أليم** ﴾ هذا من باب التهكم ، أى فبشره على إصراره واستكباره ، وعدم استماعه إلى الآيات بعذاب شديد الألم ﴿ **وإذا علم من آياتنا شيئا** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **علم** ﴾ بفتح العين وكسر اللام مخففة على البناء للفاعل . وقرأ قتادة ومطر الوراق على البناء للمفعول ، والمعنى: أنه إذا وصل إليه علم شىء من آيات الله ﴿ **اتخذها** ﴾ أى الآيات ﴿ **هزوا** ﴾ وقيل : الضمير فى اتخذها عائد إلى ﴿ **شيئا** ﴾ ؛ لأنه عبارة عن الآيات ، والأول أولى ، والإشارة بقوله : ﴿ **أولئك** ﴾ إلى كل أفاك متصف بتلك الصفات ﴿ **لهم عذاب مهين** ﴾ بسبب ما فعلوا من الإصرار والاستكبار عن سماع آيات الله واتخاذها هزوا ، والعذاب المهين : هو المشتمل على الإذلال والفضيحة ﴿ **من ورائهم جهنم** ﴾ أى من وراء ما هم فيه من التعزز بالدنيا والتكبر عن الحق جهنم ، فإنها من قدامهم ؛ لأنهم متوجهون إليها ، وعبر بالوراء عن القدّام ، كقوله : ﴿من ورائه جهنم﴾ [الرعد: ١٦]، وقول الشاعر :

وليس ورائى إن تراخت منيتى

وقيل : جعلها باعتبار إعراضهم عنها كأنها خلفهم ﴿ **ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا** ﴾ أى لا يدفع عنهم ما كسبوا من أموالهم وأولادهم شيئا من عذاب الله ، ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ﴿ **ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء** ﴾ معطوف على ما كسبوا ، أى ولا يغنى عنهم ما اتخذوا من دون الله أولياء من الأصنام ، و « ما » فى الموضعين إما مصدرية أو موصولة ، وزيادة لا فى الجملة الثانية للتأكيد ، ﴿ **ولهم عذاب عظيم** ﴾ فى جهنم التى هى من ورائهم ﴿**هذا هدى** ﴾ جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر يعنى هذا القرآن هدى للمهتدين به ﴿ **والذين كفروا بآيات ربهم** ﴾ القرآنية ﴿ **لهم عذاب من رجز أليم** ﴾ الرجز : أشدّ العذاب . قرأ الجمهور: « أليم » بالجر صفة للرّجز . وقرأ ابن كثير وحفص وابن محيصن بالرفع صفة لعذاب ﴿ **الله الذى سخر لكم البحر** ﴾ أى جعله على صفة تتمكنون بها من الركوب عليه ﴿**لتجرى الفلك فيه بأمره** ﴾ أى بإذنه وإقداره لكم ﴿**ولتبتغوا من فضله** ﴾ بالتجارة تارة ،

(١) العانة : الأتانُ ، والقطيع من حُمُرِ الوَحْشِ . اللسان ١٣/ ٣٠٠ .

(٢) صار أذنيه :سواها ونصبها للاستماع ، يقال : صَرّ الفرس أُذنيه : ضمهما إلى رأسه . اللسان ٤/ ٤٥٢ .

والغوص للدر ، والمعالجة للصيد وغير ذلك ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ أى لكى تشكروا النعم التى تحصل لكم بسبب هذا التسخير للبحر ﴿**وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه**﴾ أى سخر لعباده جميع ما خلقه فى سماواته وأرضه مما تتعلق به مصالحهم وتقوم به معايشهم ، ومما سخره لهم من مخلوقات السموات : الشمس والقمر والنجوم النيرات والمطر والسحاب والرياح ، وانتصاب ﴿ **جميعاً** ﴾ على الحال من ﴿ **ما فى السموات وما فى الأرض** ﴾ أو تأكيد له، وقوله : ﴿ **منه** ﴾ يجوز أن يتعلق بمحذوف هو صفة لـ﴿**جميعا** ﴾ أى كائنة منه ، ويجوز أن يتعلق بسخر ، ويجوز أن يكون حالاً من ما فى السموات ، أو خبراً لمبتدأ محذوف ، والمعنى : أن كل ذلك رحمة منه لعباده ﴿**إن فى ذلك** ﴾ المذكور من التسخير ﴿**لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ وخصّ المتفكرين ؛ لأنه لا ينتفع بها إلا من تفكر فيها ، فإنه ينتقل من التفكر إلى الاستدلال بها على التوحيد .

﴿ **قل للذين آمنوا يغفروا** ﴾ أى قل لهم : اغفروا يغفروا ﴿ **للذين لا يرجون أيام الله** ﴾ وقيل : هو على حذف اللام ، والتقدير : قل لهم ليغفروا ، والمعنى : قل لهم : يتجاوزوا عن الذين لا يرجون وقائع الله بأعدائه ، أى لا يتوقعونها ، ومعنى الرجاء هنا : الخوف . وقيل : هو على معناه الحقيقى ، والمعنى : لا يرجون ثوابه فى الأوقات التى وقتها الله لثواب المؤمنين ، والأول أولى ، والأيام يعبر بها عن الوقائع كما تقدم فى تفسير قوله : ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ [إبراهيم: ٥] قال مقاتل : لا يخشون مثل عذاب الله للأمم الخالية ، وذلك أنهم لا يؤمنون به فلا يخافون عقابه ، وقيل : المعنى : لا يأملون نصر الله لأوليائه ، وإيقاعه بأعدائه . وقيل : لا يخافون البعث . قيل : والآية منسوخة بآية السيف ﴿ **ليجزى قوما بما كانوا يكسبون** ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى : « لنجزى» بالنون ، أى لنجزى نحن ، وقرأ باقى السبعة بالتحتية مبنيا للفاعل ، أى ليجزى الله . وقرأ أبو جعفر وشيبة وعاصم بالتحتية مبنيا للمفعول مع نصب قوماً، فقيل : النائب عن الفاعل مصدر الفعل ، أى ليجزى الجزاء قوماً . وقيل : إن النائب الجار والمجرور ، كما قال الشاعر :

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسبّ بذلك الجرو الكلابا

وقد أجاز ذلك الأخفش والكوفيون ، ومنعه البصريون ، والجملة لتعليل الأمر بالمغفرة ، والمراد بالقوم : المؤمنون ، أمروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة بما كسبوا فى الدنيا من الأعمال الحسنة التى من جملتها الصبر على أذية الكفار والإغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه . وقيل : المعنى : ليجزى الكفار بما عملوا من السيئات ، كأنه قال : لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن ، والأول أولى . ثم ذكر المؤمنين وأعمالهم والمشركين وأعمالهم فقال : ﴿ **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾ والمعنى : أن عمل كل طائفة من إحسان أو إساءة لعامله لا يتجاوزه إلى غيره وفيه ترغيب وتهديد ﴿ **ثم إلى ربكم ترجعون** ﴾ فيجازى كلا بعمله إن كان خيراً فخير، وإن كان شرا فشر .

وقد أخرج عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر ، وأبو الشيخ فى العظمة من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **جميعاً منه** ﴾ قال : منه النور والشمس والقمر . وأخرج ابن جرير عنه فى الآية قال : كل شىء هو من الله . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن طاووس قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله ممّ خلق الخلق ؟ قال : من الماء والنور والظلمة والهواء والتراب ، قال : فمم خلق هؤلاء ؟ قال : لا أدرى ، ثم أتى الرجل عبد الله بن الزبير ، فسأله فقال مثل قول عبد الله بن عمرو ، فأتى ابن عباس فسأله ممّ خلق الخلق ؟ فقال : من الماء والنور والظلمة والريح والتراب ، قال : فممّ خلق هؤلاء ؟ فقرأ ابن عباس : ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه** ﴾ فقال الرجل :أما كان ليأتى بهذا إلا رجل من أهل بيت النبىّ ﷺ (١) . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿**قل للذين آمنوا يغفروا** ﴾ الآية : قال : كان نبى الله ﷺ يعرض عن المشركين إذا آذوه ، وكانوا يستهزئون به ويكذبونه ، فأمره الله أن يقاتل المشركين كافة ، فكان هذا من المنسوخ (٢) .

﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** (١٦) **وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** (١٧) **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** (١٨) **إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** (١٩) **هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** (٢٠) **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** (٢١) **وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** (٢٢) **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** (٢٣) **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** (٢٤) **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (٢٥) **قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ**

---

(١) صححه الحاكم ٢/ ٤٥٢ ووافقه الذهبى وقال : « سمعه ابن راهويه منه » . (قلت) : « عمر هذا فتشت عنه فلم أعرفه والخبر منكر » والبيهقى فى الأسماء والصفات ٢/ ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) ابن جرير ٢٥/ ٨٦ ، ٨٧ .

النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٦) ﴾

قوله : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب والحكم والنبوة** ﴾ المراد بالكتاب : التوراة ، وبالحكم : الفهم والفقه الذى يكون بهما الحكم بين الناس وفصل خصوماتهم ، وبالنبوّة : من بعثه الله من الأنبياء فيهم ﴿ **ورزقناهم من الطيبات** ﴾ أى المستلذات التى أحلها الله لهم ، ومن ذلك المن والسلوى ﴿ **وفضلناهم على العالمين** ﴾ من أهل زمانهم حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر ونحوه ، وقد تقدم بيان هذا فى سورة الدخان ﴿**وآتيناهم بينات من الأمر** ﴾ أى شرائع واضحات فى الحلال والحرام ، أو معجزات ظاهرات . وقيل : العلم بمبعث النبى ﷺ ، وشواهد نبوته ، وتعيين مهاجره : ﴿**فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم**﴾ أى فما وقع الاختلاف بينهم فى ذلك الأمر إلا بعد مجىء العلم إليهم ببيانه وإيضاح معناه ، فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لثبوته . وقيل : المراد بالعلم : يوشع بن نون ، فإنه آمن به بعضهم وكفر بعضهم . وقيل : نبوة محمد ﷺ[1] ، فاختلفوا فيها حسدا، وبغيا . وقيل : ﴿ **بغيا** ﴾ من بعضهم على بعض بطلب الرئاسة ﴿ **إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ من أمر الدين ، فيجازى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته .

﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر** ﴾ الشريعة فى اللغة : المذهب ، والملة ، والمنهاج ، ويقال : لمشرعة الماء وهى مورد شاربيه : شريعة ، وسنه الشارع ؛ لأنه طريق إلى المقصد ، فالمراد بالشريعة هنا : ما شرعه الله لعباده من الدين ، والجمع شرائع ، أى جعلناك يا محمد على منهاج واضح من أمر الدين يوصلك إلى الحق ﴿ **فاتبعها** ﴾ : فاعمل بأحكامها فى أمتك ﴿ **ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** ﴾ توحيد الله وشرائعه لعباده وهم كفار قريش ومن وافقهم ﴿ **إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا** ﴾ أى لا يدفعون عنك شيئاً مما أراده الله بك إن اتبعت أهواءهم ﴿**وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض** ﴾ أى أنصار ينصر بعضهم بعضا . قال ابن زيد : إن المنافقين أولياء اليهود ﴿**والله ولى المتقين** ﴾ أى ناصرهم ، والمراد بالمتقين : الذين اتقوا الشرك والمعاصى ، والإشارة بقوله : ﴿ **هذا** ﴾ إلى القرآن أو إلى اتباع الشريعة ، وهو مبتدأ وخبره ﴿ **بصائر للناس**﴾ أى براهين ودلائل لهم فيما يحتاجون إليه من أحكام الدين ، جعل ذلك بمنزلة البصائر فى القلوب ، وقرئ : « هذه بصائر » أى هذه الآيات ؛ لأن القرآن بمعناها ، كما قال الشاعر :

سائل بنى أسد ما هذه الصوت

لأن الصوت بمعنى الصيحة ﴿ **وهدى** ﴾ أى رشد وطريق يؤدى إلى الجنة لمن عمل به ﴿**ورحمة**﴾ من الله فى الآخرة ﴿**لقوم يوقنون** ﴾ أى من شأنهم الإيقان وعدم الشك والتزلزل بالشُّبه . ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات** ﴾ أم هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة وما فيها من

---

(١) القرطبى ٩/ ٥٩٨٣ .

معنى بل للانتقال من البيان الأول إلى الثانى ، والهمزة لإنكار الحسبان ، والاجتراح : الاكتساب ومنه الجوارح ، وقد تقدم فى المائدة ، والجملة مستأنفة لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين ، وهو معنى قوله : ﴿ **أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ أى نسوّى بينهم مع اجتراحهم السيئات ، وبين أهل الحسنات ﴿ **سواء محياهم ومماتهم** ﴾ فى دار الدنيا وفى الآخرة، كلا لا يستوون، فإن حال أهل السعادة فيهما غير حال أهل الشقاوة . وقيل : المراد : إنكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة ، قرأ الجمهور : « سواء » بالرفع على أنه خبر مقدّم ، والمبتدأ محياهم ومماتهم ، والمعنى : إنكار حسبانهم أن محياهم ومماتهم سواء ، وقرأ حمزة والكسائى وحفص: ﴿ **سواء** ﴾ بالنصب على أنه حال من الضمير المستتر فى الجار والمجرور فى قوله : ﴿**كالذين آمنوا** ﴾ أو على أنه مفعول ثان لحسب ، واختار قراءة النصب أبو عبيد ، وقال : معناه: نجعلهم سواء ، وقرأ الأعمش وعيسى بن عمر : « مماتهم » بالنصب على معنى : سواء فى محياهم ومماتهم ، فلما سقط الخافض انتصب ، أو على البدل من مفعول نجعلهم بدل اشتمال ﴿ **ساء ما يحكمون** ﴾ أى ساء حكمهم هذا الذى حكموا به .

﴿ **وخلق الله السموات والأرض بالحقّ** ﴾ أى بالحقّ المقتضى للعدل بين العباد ، ومحل بالحقّ النصب على الحال من الفاعل ، أو من المفعول ، أو الباء للسببية ، وقوله : ﴿ **ولتجزى كل نفس بما كسبت** ﴾ يجوز أن يكون على الحق ؛ لأن كلا منهما سبب ، فعطف السبب على السبب ، ويجوز أن يكون معطوفاً على محذوف ، والتقدير : خلق الله السموات والأرض ليدلّ بهما على قدرته ولتجزى ، ويجوز أن تكون اللام للصيرورة ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ أى النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب ثم عجب سبحانه من حال الكفار فقال : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾ قال الحسن وقتادة : ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا إلا ركبه . وقال عكرمة : يعبد ما يهواه أو يستحسنه ، فإذا استحسن شيئاً وهواه اتخذه إلهاً . قال سعيد بن جبير : كان أحدهم يعبد الحجر ، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر ﴿ **وأضله الله على علم** ﴾ أى على علم قد علمه . وقيل : المعنى : أضله عن الثواب . على علم منه بأنه لا يستحقه . وقال مقاتل : على علم منه أنه ضال ؛ لأنه يعلم أن الصنم لا ينفع ولا يضر. قال الزجاج: على سوء فى علمه أنه ضال قبل أن يخلقه ، ومحل ﴿**على علم** ﴾ النصب على الحال من الفاعل أو المفعول ﴿**وختم على سمعه وقلبه** ﴾ أى طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ ، وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى ﴿**وجعل على بصره غشاوة** ﴾ أى غطاء حتى لا يبصر الرشد . قرأ الجمهور : ﴿ **غشاوة** ﴾ بالألف مع كسر الغين ، وقرأ حمزة والكسائى : « غشوة » بغير ألف مع فتح الغين ، ومنه قول الشاعر :

لئن كنت ألبستنى غشوة لقد كنت أصغيتك الودّ حينا

وقرأ ابن مسعود والأعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين وهى لغة ربيعة ، وقرأ الحسن وعكرمة بضمها وهى لغة عكل ﴿**فمن يهديه من بعد الله** ﴾ أى من بعد إضلال الله له ﴿ **أفلا**

تذكرون ﴾ تذكر اعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال .ثم بين سبحانه بعض جهالاتهم وضلالاتهم فقال : ﴿ **وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا** ﴾ أى ما الحياة إلا الحياة التى نحن فيها ﴿ **نموت ونحيا** ﴾ أى يصيبنا الموت والحياة فيها ، وليس وراء ذلك حياة . وقيل : نموت نحن ويحيا فيها أولادنا . وقيل :نكون نطفاً ميتة ثم نصير أحياء . وقيل : فى الآية تقديم وتأخير ، أى نحيا ونموت ، وكذا قرأ ابن مسعود ، وعلى كل تقدير فمرادهم بهذه المقالة : إنكار البعث وتكذيب الآخرة ﴿**وما يـهلكنا إلا الدهر** ﴾ أى إلا مرور الأيام والليالى . قال مجاهد : يعنى السنين والأيام ، وقال قتادة : إلا العمر ، والمعنى واحد . وقال قطرب : المعنى : وما يهلكنا إلا الموت . وقال عكرمة : وما يهلكنا إلا الله ﴿ **وما لهم بذلك من علم**﴾ أى ما قالوا هذه المقالة إلا شاكين غير عالمين بالحقيقة ، ثم بين كون ذلك صادرا منهم لا عن علم فقال : ﴿ **إن هم إلا يظنون**﴾ أى ما هم إلا قوم غاية ما عندهم الظن فما يتكلمون إلا به ، ولا يستندون إلا إليه .

﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات** ﴾ أى إذا تليت آيات القرآن على المشركين حال كونها بينات واضحات ظاهرة المعنى والدلالة على البعث ﴿ **ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين** ﴾ أنا نبعث بعد الموت ! أى ما كان لهم حجة ولا متمسك إلا هذا القول الباطل الذى ليس من الحجة فى شىء ، وإنما سماه حجة تهكما بهم .

قرأ الجمهور بنصب: ﴿**حجتهم**﴾ على أنه خبر كان ، واسمها ﴿**إلا أن قالوا**﴾ وقرأ زيد بن علىّ وعمرو بن عبيد وعبيد بن عمرو برفع :«حجتهم » على أنها اسم كان . ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يرد عليهم فقال : ﴿**قـل الله يحييكم** ﴾ أى فى الدنيا ﴿ **ثم يميتكم** ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ **ثم يجمعكم إلى يوم القيامة**﴾ بالبعث والنشور ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ أى فى جمعكم ؛ لأن من قدر على ابتداء الخلق قدر على إعادته ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ بذلك فلهذا حصل معهم الشك فى البعث ، وجاؤوا فى دفعه بما هو أوهن من بيت العنكبوت ، ولو نظروا حق النظر لحصلوا على العلم اليقين ، واندفع عنهم الريب وأراحوا أنفسهم من ورطة الشك والحيرة.

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر** ﴾ يقول: على هدى من أمر دينه . وأخرج ابن جرير عن مجاهد فى قوله : ﴿ **سواء محياهم ومماتهم** ﴾ قال : المؤمن فى الدنيا والآخرة مؤمن ، والكافر فى الدنيا والآخرة كافر . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس فى قوله: ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾ قال : ذاك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان ﴿**وأضله الله على علم** ﴾ يقول : أضله فى سابق علمه [1] . وأخرج النسائى وابن جرير وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عنه قال : كان الرجل من العرب يعبد الحجر ، فإذا

---

(١) ابن جرير ٢٥/ ٩٠ والبيهقى فى الأسماء والصفات ١/ ٢٠٥ .

وجد أحسن منه أخذه وألقى الآخر ، فأنزل الله : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾ (١). وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى هريرة قال : كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار ، فقال الله فى كتابه : ﴿ **وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ قال الله : « يؤذينى ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر ، بيدى الأمر أقلب الليل والنهار»(٢). وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله عزّ وجلّ : يؤذينى ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر ، بيدى الأمر أقلب الليل والنهار » (٣) .

﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)** ﴾

لما ذكر سبحانه ما احتج به المشركون ، وما أجاب به عليهم ، ذكر اختصاصه بالملك فقال: ﴿ **ولله ملك السموات والأرض** ﴾ أى هو المتصرف فيهما وحده لا يشاركه أحد من عباده . ثم توعد أهل الباطل فقال : ﴿**ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون** ﴾ أى المكذبون الكافرون المتعلقون بالأباطيل ، يظهر فى ذلك اليوم خسرانهم ؛ لأنهم يصيرون إلى النار ، والعامل فى ﴿**يوم**﴾ هو ﴿ **يخسر** ﴾ و ﴿ **يومئذ** ﴾ بدل منه ، والتنوين للعوض عن المضاف إليه المدلول عليه بما أضيف إليه المبدل منه ، فيكون التقدير : ويوم تقوم الساعة يوم تقوم الساعة ،

(١) النسائى فى التفسير (٥٠٥) وصححه الحاكم ٢/ ٤٥٢ ، ٤٥٣ ووافقه الذهبى ، وابن جرير ٢٥/ ٩١ عن سعيد بن جبير.

(٢) ابن جرير ٢٥/ ٩٢ ورفعه إلى النبى ﷺ ، وقال ابن كثير ٦/ ٢٦٩ : «وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا».

(٣) البخارى فى التفسير (٤٨٢٦) وفى الأدب (٦١٨١) وفى التوحيد (٧٤٩١) ومسلم فى الألفاظ من الأدب (٢٢٤٦/ ١) وأبو داود فى الأدب (٥٢٧٤) والبيهقى ٣/ ٣٦٥ .

فيكون بدلاً توكيديا ، والأولى أن يكون العامل فى يوم هو ملك ، أى ولله ملك يوم تقوم الساعة، ويكون يومئذ معمولا لـ ﴿ **يخسر** ﴾ . ﴿ **وترى كل أمة جاثية** ﴾ الخطاب لكل من يصلح له ، أو للنبى ﷺ ، والأمة : الملة ، ومعنى ﴿ **جاثية** ﴾ : مستوفزة ، والمستوفز : الذى لا يصيب الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أنامله، وذلك عند الحساب ، وقيل : معنى جاثية : مجتمعة ، قال الفراء : المعنى : وترى أهل كلّ ذى دين مجتمعين ، وقال عكرمة : متميزة عن غيرها ، وقال مؤرج : معناه بلغة قريش : خاضعة . وقال الحسن : باركة على الركب . والجثو: الجلوس على الركب : تقول : جثا يجثو ويجثى جثوا وجثيا : إذا جلس على ركبتيه ، والأول أولى ، ولا ينافيه ورود هذا اللفظ لمعنى آخر فى لسان العرب ، وقد ورد إطلاق الجثوة على الجماعة من كل شىء فى لغة العرب ، ومنه قول طرفة يصف قبرين :

ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد

وظاهر الآية أن هذه الصفة تكون لكل أمة من الأمم من غير فرق بين أهل الأديان المتبعين للرسل وغيرهم من أهل الشرك . وقال يحيى بن سلام : هو خاص بالكفار ، والأول أولى ويؤيده قوله : ﴿ **كل أمة تدعى إلى كتابها** ﴾ ، ولقوله فيما سيأتى : ﴿**فأما الذين آمنوا** ﴾ . ومعنى ﴿ **إلى كتابها** ﴾ : إلى الكتاب المنزل عليها . وقيل: إلى صحيفة أعمالها . وقيل : إلى حسابها . وقيل : اللوح المحفوظ ، والأول أولى . قرأ الجمهور : ﴿ **كل أمة** ﴾ بالرفع على الابتداء ، وخبره : ﴿ **تدعى**﴾ ، وقرأ يعقوب الحضرمى بالنصب على البدل من ﴿ **كل أمة** ﴾ . ﴿**اليوم تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ أى يقال لهم : اليوم تجزون ما كنتم تعملون من خير وشر . ﴿**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** ﴾ هذا من تمام ما يقال لهم ، والقائل بهذا هم الملائكة . وقيل : هو من قول الله سبحانه ، أى يشهد عليكم ، وهو استعارة . يقال : نطق الكتاب بكذا ، أى بين . وقيل : إنهم يقرؤونه فيذكرون ما عملوا ، فكأنه ينطق عليهم بالحق الذى لا زيادة فيه ولا نقصان ، ومحل ﴿ **ينطق** ﴾ النصب على الحال ، أو الرفع على أنه خبر آخر لاسم الإشارة ، وجملة : ﴿ **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ تعليل للنطق بالحق ، أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم ، أى بكتبها وتثبيتها عليكم . قال الواحدى : وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ ، فإن الملائكة تكتب منه كل عام ما يكون من أعمال بنى آدم فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه قالوا : لأن الاستنساخ لا يكون إلا من أصل . وقيل : المعنى :نأمر الملائكة بنسخ ما كنتم تعملون . وقيل : إن الملائكة تكتب كل يوم ما يعمله العبد ، فإذا رجعوا إلى مكانهم نسخوا منه الحسنات والسيئات وتركوا المباحات . وقيل: إن الملائكة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله سبحانه أمر عز وجل أن يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب ، ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب .

﴿ **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته** ﴾ أى الجنة ، وهذا

تفصيل لحال الفريقين، فالمؤمنون يدخلهم الله برحمته الجنة ﴿ **ذلك** ﴾ أى الإدخال فى رحمته ﴿**هو الفوز المبين** ﴾ أى الظاهر الواضح ﴿ **وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم** ﴾ أى فيقال لهم ذلك ، وهو استفهام توبيخ ؛ لأن الرسل قد أتتهم وتلت عليهم آيات الله ، فكذبوها ولم يعملوا بها ﴿ **فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين** ﴾ أى تكبرتم عن قبولها وعن الإيمان بها ، وكنتم من أهل الإجرام ، وهى الآثام ، والاجترام : الاكتساب . يقال : فلان جريمة أهله : إذا كان كاسبهم ، فالمجرم من كسب الآثام بفعل المعاصى . ﴿ **وإذا قيل إن وعد الله حق** ﴾ أى وعده بالبعث والحساب أو بجميع ما وعد به من الأمور المستقبلة واقع لا محالة ﴿ **والساعة** ﴾ أى القيامة ﴿ **لا ريب فيها** ﴾ أى فى وقوعها . قرأ الجمهور : ﴿ **والساعة** ﴾ بالرفع على الابتداء ، أو العطف على موضع اسم إن ، وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم إن ﴿ **قلتم ما ندرى ما الساعة**﴾ أىْ أىّ شىء هى ؟ ﴿ **إن نظن إلا ظنا** ﴾ أى نحدس حدساً ونتوهم توهماً . قال المبرد : تقديره : إن نحن إلا نظنّ ظنا . وقيل : التقدير : إن نظن إلا أنكم تظنون ظنا . وقيل : إن نظنّ مضمن معنى : نعتقد ، أى ما نعتقد إلا ظنا لا علما . وقيل : إن ظنا له صفة مقدرة ، أى إلا ظنا بينا . وقيل : إن الظن يكون بمعنى العلم والشك ، فكأنهم قالوا : ما لنا اعتقاد إلا الشك ﴿ **وما نحن بمستيقنين** ﴾ أى لم يكن لنا يقين بذلك ، ولم يكن معنا إلا مجرد الظن أن الساعة آتية .

﴿ **وبدا لهم سيئات ما عملوا** ﴾ أى ظهر لهم سيئات أعمالهم على الصورة التى هى عليها ﴿ **وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أى أحاط بهم ونزل عليهم جزاء أعمالهم دخولهم النار . ﴿ **وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾ أى نترككم فى النار كما تركتم العمل لهذا اليوم ، وأضاف اللقاء إلى اليوم توسعا ؛ لأنه أضاف إلى الشىء ما هو واقع فيه ﴿ **ومأواكم النار**﴾ أى مسكنكم ومستقركم الذى تأوون إليه ﴿ **وما لكم من ناصرين** ﴾ ينصرونكم فيمنعون عنكم العذاب . ﴿ **ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا** ﴾ أى ذلكم العذاب بسبب أنكم اتخذتم القرآن هزوا ولعبا ﴿ **وغرتكم الحياة الدنيا** ﴾ أى خدعتكم بزخارفها وأباطيلها ، فظننتم أنه لا دار غيرها ولا بعث ولا نشور ﴿ **فاليوم لا يخرجون منها** ﴾ **أى من النار** . قرأ الجمهور : ﴿ **يخرجون** ﴾ بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول ، وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل ، **والالتفات من الخطاب إلى الغيبة لتحقيرهم** ﴿ **ولا هم يستعتبون** ﴾ أى لا يسترضون ويطلب منهم الرجوع إلى طاعة الله؛ لأنه يوم لا تقبل فيه توبة ولا تنفع فيه معذرة . ﴿ **فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين** ﴾ لا يستحق **الحمد** سواه ، قرأ الجمهور : ﴿ **رب** ﴾ فى المواضع الثلاثة بالجر على الصفة للاسم الشريف ، وقرأ مجاهد وحميد وابن محيصن بالرفع فى الثلاثة على تقدير مبتدأ ، أى هو رب السموات إلخ ﴿ **وله الكبرياء فى السموات والأرض** ﴾ أى الجلال والعظمة والسلطان ، وخصّ السموات والأرض ؛ لظهور ذلك فيهما ﴿ **وهو العزيز الحكيم** ﴾ أى العزيز فى سلطانه ، فلا

يغالبه مغالب ، الحكيم فى كل أفعاله وأقواله وجميع أقضيته .

وقد أخرج سعيد بن منصور ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى البعث عن عبد الله بن باباه قال : قال رسول الله ﷺ : « كأنى أراكم بالكوم دون جهنم جاثين » ثم قرأ سفيان : ﴿**وترى كل أمة جاثية**﴾ . وأخرج ابن مردويه ، عن ابن عمر فى قوله : ﴿ **وترى كل أمة جاثية** ﴾ قال : كل أمة مع نبيها حتى يجىء رسول الله ﷺ على كوم قد علا الخلائق ، فذلك المقام المحمود .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** ﴾ قال : هو أم الكتاب فيه أعمال بنى آدم ﴿**إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ قال : هم الملائكة يستنسخون أعمال بنى آدم [١] . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه بمعناه مطولا ، فقام رجل فقال : يا ابن عباس ، ما كنا نرى هذا تكتبه الملائكة فى كل يوم وليلة ، فقال ابن عباس : إنكم لستم قوماً عرباً ﴿ **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ هل يستنسخ الشىء إلا من كتاب ؟ . وأخرج ابن جرير عنه نحوه أيضا [٢] . وأخرج ابن جرير عن على بن أبى طالب قال : إن لله ملائكة ينزلون فى كل يوم بشىء يكتبون فيه أعمال بنى آدم [٣] . وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر نحو ما روى عن ابن عباس . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى الآية قال : يستنسخ الحفظة من أمّ الكتاب ما يعمل بنو آدم ، فإنما يعمل الإنسان ما استنسخ الملك من أم الكتاب . وأخرج نحوه الحاكم وصححه [٤] . وأخرج الطبرانى عنه أيضا فى الآية قال : إن الله وكل ملائكته ينسخون من ذلك العام فى رمضان ليلة القدر ما يكون فى الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة ، فيتعارضون به حفظة الله على العباد عشية كل خميس ، فيجدون ما رفع الحفظة موافقا لما فى كتابهم ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان [٥] .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضاً فى قوله : ﴿ **اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا**﴾ قال : نترككم . وأخرج ابن أبى شيبة ومسلم وأبو داود وابن ماجة وابن مردويه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله تبارك وتعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار » [٦] .

---

(١) ابن جرير ٢٥/ ٩٤ ، ٩٥ . (٢، ٣) ابن جرير ٢٥/ ٩٥ .

(٤) صححه الحاكم ٢/ ٤٥٤ ووافقه الذهبى .

(٥) الطبرانى (١٠٥٩٥) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٩٣ : « وفيه الضحاك ضعفه جماعة ، ووثقه ابن حبان وقال : لم يسمع من ابن عباس ، وبقية رجاله وثقوا » .

(٦) ابن أبى شيبة فى الأدب (٦٦٣٠) ومسلم فى البر (٢٦٢٠ / ١٣٦) وأبو داود فى اللباس (٤٠٩٠) وابن ماجة فى الزهد (٤١٧٤) والبيهقى فى الأسماء والصفات ١/ ٢٢٨ .